المحاضرة الاولى

مدخل الى علم النفس الاجتماعي

مقدمة:

ان الحياة المعاصرة التي يعيشها الانسان وما فيها من معضلات ومشكلات وضغوط حياتية ناتجة عن تعاملات الانسان مع الاخر ومع كافة المؤسسات الاجتماعية تؤكد اننا بحاجة الى العديد من الدراسات والبحوث في حقل علم النفس الاجتماعي والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والاحداث الدولية التي تعيش في ظلها شعوب العالم الان جديرة بإفراز كثير من اشكال التعاملات الايجابية والسلبية والتي من شانها تؤثر على الانسان بالإيجاب او بالسلب.

ويعتبر علم النفس الاجتماعي احد مجالات المعرفة الانسانية الحديثة نسبيا والتي تطورت تطورا هائلا في القرن الماضي والتي لا زالت تتطور في محاولة لفهم واحدة من اعقد الظواهر الا وهي ظاهرة السلوك الاجتماعي الانساني.

ويرى مؤلف الكتاب ان دراسة علم النفس الاجتماعي ليست شكلا من اشكال الترف الفكري التي يمكن الاستغناء عنها والاكتفاء بدراسة غيرها من فروع علم النفس. فعلم النفس الاجتماعي في افاقه العالمية يهدف الى اقامة مجتمع تتكافي فيه الفرص للجميع في حدود امكاناتهم واستعداداتهم وتتسع وحداته الاجتماعية لترقى من الجماعة على الوطن الى النوع الانساني ككل، لتشيع بين ارجائه المثل الانساني التي يسعى لتحقيقها بدراسة الظواهر النفسية الاجتماعية ليخضعها لتجاربه وابحاثه ليسير بها قدما نحو تحقق السلام العالمي.

كما ان علم النفس الاجتماعي كعلم هو يدرس الانسان ككائن اجتماعي محكوم سلوكه في الاستعدادات الفطرية المتوفرة لديه منذ الولادة والتي زود بها من خلال العوامل الوراثية في متغيرات الوسط الذي يعيش فيه والبيئة، حيث ان الفرد يؤثر في بيئته كما انه يتأثر بها ايضا.

ولقد انصب اهتمام علم النفس الاجتماعي على دراسة السلوك الاجتماعي للإنسان واسبابه ودوافعه والتنبؤ به، وكيفية تعديله والتحكم فيه خلال مظاهره المحسوسة واثارة القابلة للملاحظة عن طريق الدراسات والبحوث التجريبية، والتي نتج عنها العديد من المبادئ والقوانين التي تحكم السلوك الانساني وتفسره.

- **التطور التاريخي لعلم النفس الاجتماعي:**

لم ينشا علم النفس علما مستقلا قائما بذاته دائما وانما اصبح علم النفس علما مستقلا في موضوعه ومنهجه واسلوبه الخاص بعد ما تحرر من الفلسفة – والتي يعتبرها مؤلف الكتاب علم الحكمة وام العلوم – ليصبح علما قائما بذاته وله مكانته بين العلوم الطبيعية الخاصة الا بعد ما نبذ الاتجاه الفلسفي النظري ونزع الى الاتجاه التجريبي الذي تتميز به سائر العلوم التجريبية. وغنى عن البيان بان انفصال علم عن علم يشبه تماما انفصال جنين وليد عن ام رؤوم، لاذ لا يخرج الجنين شابا يافعا مصلوب العود ممشوق القوام، بل يخرج واهن ضعيف ثم سرعان ما يمر بمراحل عدة حتى يصبح في عنفوان شبابه.

فعلم النفس الاجتماعي له ماضي طويل.. ولكن له تاريخ قصير، وهذه حقيقة اذا ما توخينا تاريخ العلوم بأمانة علمية، ونظرنا الى تاريخ هذا العلم، لوجدنا انه يرجع الى تاريخ فلاسفة اليونان القدامى، اما اذا تأملنا الاسس العلمية لهذا العلم نجدها تعود الى ماضي فقط حتى النصف الثامن من القرن التاسع عشر.

فكما نشا علم النفس في احضان الفلسفة، فان عددا كبيرا من موضوعات علم النفس الاجتماعي قد لوحظ ايضا من قبل الفلاسفة، كما ان التأملات المتعلقة بالطبيعة الانسانية او بالطبيعة الاصلية للإنسان بصورة خاصة قديمة قدم الفلسفة نفسها.

فأفلاطون كان ينظر الى الناس كما لو انه ناتج نموذج اجتماعي ما. في حين كان يرى ارسطو ان الانسان كائن بيولوجي. ولقد تأثر علماء المسلمين بالفلسفة اليونانية فنجد ان الفارابي قد تأثر بفلسفة ارسطو وقد اوضح ذلك في كتابه اراء اهل المدينة الفاضلة حيث اشار على ان الحياة الاجتماعية المثالية تعتمد على التعاون وقد شبه المدينة الفاضلة بجسم لأنسان صحيح تتعاون اجزاءه بعضها مع بعض.

اما الغزالي فقد اهتم بدراسة المجتمع وتكوينه وفهم دوافع الفساد والتفكك في المجتمع والعمل على اصلاحه وهدايته على اسس وتعاليم الدين الاسلامي.

ويعد ابن خلدون من اشهر علماء المسلمين الذي عبر عن رايه في حركة التاريخ وسيكولوجية الجماعات وعلم نفس الشعوب والشخصية القومية. حيث اكد ابن خلدون على حاجة الانسان الى القبول الاجتماعي ووضع القواعد والمعايير التي تنظم العلاقات الاجتماعية. وتعتبر اراء ابن خلدون اكثر اقترابا من علم النفس الاجتماعي الحديث.

اما عن النشا الحديثة لعلم النفس الاجتماعي فقد كان للكتابين اللذان الفهما كل من روس عن التقليد وماكدوجل عن النزعة الفطرية في عام واحد وبالتحديد عام ١٩٠٨م.

وفي عام ١٩٢٠م اصدر ماكدوجل كتابة الثاني في علم النفس الاجتماعي بعنوان العقل الجماعي واشار الى ان العقل يسيطر على سلوك الجماعات ويميز بينهما.

ثم جاء جارلوس والذي يعد المؤسس الحقيقي لعلم النفس الاجتماعي المعاصر واصدر كتابه عام ١٩٣١م بعنوان اسس علم النفس الاجتماعي.

وقد تأثر البحث في علم النفس الاجتماعي بالحرب العالمية الثانية فظهر الاهتمام بموضوعات مثل السلوك العدواني لدى الافراد والمجتمعات ودراسة الزعامة والقيادة سواء في المجتمعات الديمقراطية او الديكتاتورية.

ثم تقدم علم النفس الاجتماعي التجريبي ليشمل موضوعات مثل الاتجاهات النفسية الاجتماعية والتعصب والمعتقدات والاشاعات والروح المعنوية والدعاية والاعلام والعلاقات العامة والراي العام والانتخابات والاستفتاءات... الخ مما كان له عظيم الاثر في تقدم التخطيط الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية والتنمية الاجتماعية والبشرية.

وما وال علم النفس الاجتماعي في الوقت الحاضر يحظو الى الامام مع زيادة الاعتقاد بان مشكلات الانسان الاساسية اهم محاورها هو علاقة الفرد مع الاخرين.

- **تعريفات علم النفس الاجتماعي:**

نظرا لأهمية الموضوع الذي يتناوله علم النفس الاجتماعي فقد تركزت العديد من الاسهامات العلمية في التراث النفسي حول تعريف علم النفس الاجتماعي فقد ذهب البرت ١٩٦٤ الى ان علم النفس الاجتماعي هو محاولة لفهم وتفسير كيف يتأثر الافراد وشعورهم وسلوكهم بالوجود الفعلي او المتخيل او الضمني للأشخاص الاخرين.

وترى منيرة حلمي ١٩٧٨ ان علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس ظاهرة التفاعل الاجتماعي من حيث ما يتضمنه موقف التفاعل الاجتماعي من عناصر ذات تنظيم نفسي اجتماعي معين مثل: الافراد والجماعات، ومن حيث عمليات التفاعل الاجتماعي مثل: الادراك الاجتماعي والتواصل، ومن حيث ما يترتب على هذه العمليات من تغيرات في سلوك الافراد والجماعات.

ويعرف عادل الاشول ١٩٨٧ علم النفس الاجتماعي بانة احد فروع علم النفس الذي يدرس السلوك في حقيقته الاجتماعية.

ويشير عباس عوض ورشاد الدمنهوري ١٩٩٤ الى ان علم النفس الاجتماعي هو الدراسة العلمية لخبرات الافراد، وسلوكهم من ناحية المواقف الاجتماعية ذات التأثير.

اما ابراهيم الشافعي ٢٠٠٠ فيرى ان علم النفس الاجتماعي هو ذلك الفرع من علم النفس الذي يعنى بدراسة الفرد بالأخرين، وعلاقته بهم من خلال ما يصدر عنه هو، او عنهم من استجابات من خلال المنهج العلمي.

وتذكر سلوى عبد الباقي ٢٠٠٢ ان علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يجمع بين علم الاجتماع وعلم النفس وهو العلم الذى يهتم بعلاقة الانسان بالأخر.

وقدم نبيل الزهار ٢٠٠٧ تعريفا لعلم النفس الاجتماعي ينص على انه دراسة عملية لعمليات الانسان العقلية ككائن اجتماعي أي يعيش في مجتمع مع اصدقاء يتفاعل معهم فيتأثر بهم ويؤثر فيهم، لذا فهو يهتم بدراسة الفرد في الجماعة وعلاقات الجماعات ببعضها البعض.

وتعرف فوقية عبد الفتاح ٢٠٠٩ علم النفس الاجتماعي بانه العلم الذي يدرس سلوك الفرد كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة.

ويشير سليمان عبد الواحد ٢٠١٠-٢٠١١ الى ان علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يهتم بصفة خاصة بدراسة علاقة الفرد بالجماعة وعلاقة الجماعات بعضها ببعض فهو مثلا يهتم بدراسة التنشئة الاجتماعية للفرد وكيفية تأثره بالنظام الاجتماعي التي ينشا فيه وكيف يؤثر ذلك في تكوين اتجاهاته واعتقاداته وميوله، وهو يدرس سيكولوجية الجماهير والرأي العام والدعاية.

والملاحظ ان هذه التعريفات متكاملة مع بعضها البعض.

مما سبق يمكن لمؤلف الكتاب ان يقدم تعريفا لعلم النفس الاجتماعي ينص على انه العلم الذي يدرس سلوك الفرد في علاقته بالأخرين، يمكنهم هؤلاء ان يحدثوا اثرهم في الفرد اما بشكل فردي او جماعي، كما الفرد – او بصورة غير مباشرة – من خلال نماذج السلوك التقليدية او المتوقعة من الناس والتي تؤثر في الفرد حتى ولو كان بمفرده.

ويمكن ان نوضح ذلك بمثال الشخص الذي يقدم على اتخاذ قرار صعب يتعلق باختيار عمل جديد او الانتقال الى عمل جديد، فانه حتى ولو كان وحيدا في مكتبه او منزله، الا انه يتأثر في قراره بالأخرين كزوجته واولاده وزملائه.

وهكذا يكون السلوك هو نتاج العلاقات الديناميكية الصادرة عن تفاعل الفرد بميوله وحاجاته ورغباته ونزعاته ومعتقداته واتجاهاته واراثه مع امكانيات البيئة بما فيها من عوامل اقتصادية واجتماعية ونفسية وثقافية.

- **اهداف علم النفس الاجتماعي:**

كما سبق ان ذكرنا من قبل فان علم النفس الاجتماعي هو الدراسة العلمية لسلوك الفرد في علاقته بالأخرين. وللدراسة العلمية اهداف اربعة هي: (الوصف – الفهم – التنبؤ – الضبط التحكم).

١. **الوصف:** أي تقديم تحديد للظاهرة النفسية الاجتماعية بمجال الدراسة او البحث بحيث يخرجها عن غيرها من الظواهر مع بيان علاقتها بغيرها من الظواهر مع بيان العوامل المساهمة في نشأة هذه الظاهرة. هذا الوصف يجلى الظاهرة، ويحولها من مجهول الى معلوم، وهذا الوصف يعد خطوة تمهيدية في سبيل تحقيق الاهداف المبتغاة من دراسة هذه الظاهرة الاجتماعية.
٢. **الفهم:** أي فهم الظواهر النفسية الاجتماعية عن طريق ايجاد العلاقة التي تربط بين الظواهر المختلفة فاذا لم نجد أي علاقة للظاهرة باي ظاهرة اخرى فأنها تظل غامضة غير مفهومة او معروفة. فمثلا اذا ذهبت الى منزلك فوجدت اثاثه متناثر هنا وهناك فانك تحاول تفسير هذه الظاهرة بانك تربط بينها وبين دخول شخص غريب في المنزل من اجل السرقة او غير ذلك. فالفهم اذا يتم بعملية الربط وادراك العلاقات بين الظواهر المراد تفسيرها والاحداث التي تلازمها وتسبقها.
٣. **التنبؤ:** تصور النتائج في مواقف جديدة لاحقة وذلك باستخدامنا المعلومات التي توصلنا اليها. فمثلا بناء على اكتشاف العلاقة بين الحرارة وتمدد الاجسام الصلبة نستطيع ان نتنبأ بان قضيب سكة الحديد سوف يتقوس اذا مر عليه القطار اذا لم تكن هناك فراغات بين اجزائه.
٤. **الضبط التحكم:** هو التحكم في الظروف التي تحدد حدوث الظاهرة النفسية الاجتماعية بشكل يحقق لنا الوصول الى هدف معين. فيمكننا التحكم في ظاهرة النجاح في الجامعة مثلا على اساس التوجيه التعليمي الصحيح للطلاب.

فالعلاقة بين الوصف والفهم والتنبؤ والضبط علاقة وثيقة.